الثقافة للجماهير

فلنحطم الأغلال

من محاضرات الاستاذ الشيخ حسن الصفار

٤

— ١ —

فلنحطّم الأغلال

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الاولى

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ
وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ ۗ
وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا)

صدق الله العلي العظيم
سورة الاحزاب - ٣٩ -

الثقافة للجماهير

سلسلة محاضرات القاها المؤلف ...ولأهميتها قام بعض الشباب المؤمنين بكتابتها ... ولما تحتويه هذه المحاضرات من فكر اسلامي اصيل وثقافة رسالية نقدمها لجماهير الأمة على حلقات .....والله ولي التوفيق .

الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

(الذين يتبعون الرسول النبي الامي الـــــذي
(يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
(يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل
(لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضـــع
(عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) .
(الاعراف / ١٥٧)

الانسان بطبيعته لديه طموح التقدم والوصـــول الى الافضل ،بطبيعته يتعشق الحرية ،ويرفـــض اي محاولة لتكبيل حريته ، او لاخماد طموحه للتقدم.

ليس الانسان فقط بل حتى الحيوان يتمســـك بحريته ويدافع عن نفسه في وجه اي اعتـــداء يتحسسه ويشعر به .

انك لو اعتديت على احد الحيوانات كالكلب او القط او ماشابه بالضغط على ذيله او بضربه ، فانه سوف لن يحني رأسه ويسكت على الاعتداء .. وانما سيقوم بعمل يعبّر به عن رفضه واعتراضه ورد فعله تجاه الاعتداء .. فيرفع صوته صارخا ، او ينفلت هاربا او يرفس ، او يعض ..

ولو صادرت حرية احد الحيوانات فحبسته في قفص او شبك ، فانه الاخر سوف لايقبل بمصادرة حريته .. انه سيصيح ، وينزعج ، ويحرك اجنحته ، ويصطدم باعمدة القفص ، ويقوم باي عمل او ردفعل يعبّر به عن رفضه واحتجاجه ..

واذا كان الحيوان بطبيعته هكذا ، فكيف بالانسان ؟

هل من المعقول ان يعتدي عليه فيسكت ؟ او تسرق حريته فيرضخ ويرضى ؟

بالطبع : كلا .

انه حتى الطفل الصغير يقاوم الاعتداء ، ويدافع عن حريته وحقوقه ..

جرّب ان تنهب من يد الطفل شيئا لترى كيف يملأ عليك الجو صراخا وبكاء !!

او جرّب ان تقيده عن الحركة لترى كيف يرفض

ذلك بمختلف الحركات والوسائل التي يستطيعها !!

لقد اودع الله تعالى هذه الطبيعة في نفس الانسان ،كما زرع في جسمه حاسّة اللمس ،فحينما تلامس يدك شيئا حارا تتحسس تلك الحرارة ويصدر منك رد فعل تجاهها .. على نفس المستوى يكون تحسس الانسان لاضطدامه بما يعيق حريته ويتعرض طموحه .

واذا كان الانسان من طبيعته الطموح وتعشق الحرية ،ولديه قدرة ذاتية على رفض الاعتداء و مقاومة الاستعباد ،فبماذا نفسر ظاهرة وجود مجتمعات من البشر ينعدم عندها طموح التقدم ، وتخمد لديها ارادة المقاومة ؟؟

تستعمر فتخضع للاستعمار ! ويعتدى عليها فتسكت على الاعتداء ! ويفرض عليها التخلف فتقبل ذلك بصدر رحب !

كيف نفسر هذه الحالة ؟

توجد كثير من الشعوب التي تصفق لجلاديها !!

هل صادفكم ذات يوم في حياتكم مشهد وموقف كالتالي :

ان رجلا يصفع آخر ويلطمه ،فينحني المضروب ليقبل اقدام الضارب المعتدي ويقدم له الشكر

بخضوع وامتنان ؟

هل رأيتم هكذا منظرا ؟

انه مثال يحكي وضع الكثير من شعوبنا المستضعفة الان !!

يتحكم فيها جلاد مستبد معتدي يسحق حريتها وكرامتها وهي ساكتة عنه ،مستسلمة له ،تقبل يده وتصفق له ،وتسمع امره !!

ماهو تفسير هذه الظاهرة ؟ لماذا تحدث هذه الحالة ؟

انه وضع شاذ يتنافى مع طبيعة الانسان .. المجتمع الذي يسكت على الظلم ،ويخضع للاعتداء ،و لايدافع عن حريته وكرامته ،هذا مجتمع مريض ، مجتمع شاذ .

الوضع الطبيعي للانسان هو المجابهة والرفض لما يعترض طموحه وتقدمه . اما قبول التخلف والترحيب بالاستعمار والاستعباد فهو مرض وشذوذ .

وهذا يذكرنا بموقف شيوخ الخليج ايام السيطرة البريطانية المباشرة على الخليج ،فقد اعلنت بريطانيا عن عزمها على الانسحاب من امارات الخليج ،وحددت فترة انسحابها .. ولكن المذهل ان شيوخ الخليج ذهبوا والتمسوا من البريطانيين

ان يؤجلوا انسحاب قواتهم من الخليج بحجة ان ذلك سيخلق في المنطقة فراغا عسكريا !!

وحينما اعتذرت بريطانيا بان بقاء قواتها في الخليج يكلفها نفقات مالية لم تعد تتحملها ميزانيتها الاقتصادية ، ابدى امراء المنطقة استعدادهم لدفع تكاليف بقاء القوات البريطانية حتى تستمر في التواجد !!

بالله عليكم . هل هذه حالة طبيعية يقبلها عقل الانسان وتنسجم مع فطرته ان تدفع للعدو ثمن استعماره لك ؟

والان تعالوا لنبحث عن سر واسباب هذه الحالة المرضية التي اعترت مجتمعاتنا فافقدتها الاحساس بكرامتها ، واخمدت لديها روح التقدم وطموح التحرر والاستقلال .. لماذا حدثت وتحدث هذه الحالة عند بعض الشعوب ؟

ان جذور هذه المشكلة ترجع الى وجود الاغلال والقيود التي تكبل روح الانسان فتمنعه من التحسس الطبيعي ، والانطلاقة الفطرية ، وتجعله مستسلما للواقع السيء ، خاضعا لما يجري ويدور حوله ، متنازلا عن كرامته وحريته ..

ولقد كان المجتمع الجاهلي في مكة واطراف

الجزيرة العربية قبيل اشراقة الاسلام يعيش بهذه الحالة المزرية السيئة ولكن نفس ذلك المجتمع اصبح بعد حين افضل وخير امة اخرجت للناس ..

فما الذي صنعه الرسول (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) حتى ازال تلك الحالة المرضية من ذلك المجتمع ؟

لابد انه شخّص المرض اولا ،وعرف مكمن وموضع الداء .. وهذا ماتشير اليه الاية الكريمة :(ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم) .

كان المجتمع الجاهلي مكبلا بالاغلال والقيود ، وجاء الرسول الاعظم فحطم وكسّر تلك القيود و الاصر (اصرهم يعني العقد المربوطة التي تمنعهم من الحركة) وحينئذ انطلق ذلك المجتمع يشق طريقه نحو الحرية والتقدم .

والان ايها الاخوة اذا مانظرنا الى مجتمعاتنا وشعوبنا وهي تعاني من التخلف والانحطاط وسيطرة الطواغيت فان علينا ان نهتم باسباب هذه المعاناة وجذور هذا الواقع .

فالمشكلة لاتكمن في سيطرة حكومة العمالة و الطاغوت .. بل ان وجود هذه السلطة انما هو مظهر ونتيجة لتلك الاسباب الحقيقية والجذور

الممتدة في اعماق حياة الشعب .

وليست المسالة ان القوى المستكبرة في العالم لاتريد لنا التحرر والاستقلال .. انها اعمق من ذلك ..

وما حدث في ايران هو اكبر دليل على هذا الامر .. فقد كانت الحكومة الشاهنشاهية اسوأ نموذج للحكم الطاغوتي والسلطة العميلة .. وكانت اميركا واسرائيل مصممتان على الاحتفاظ بنفوذهما في ايران كقاعدة متقدمة ..

ولكن شعب ايران البطل توفق لمقاومة هذا الواقع الفاسد وانتصر عليه .. فلماذا لاتقاوم سائر الشعوب ؟

ان المشكلة الحقيقية تكمن في وجود الاغلال و القيود التي تكبّل شعوبنا وجماهيرنا فتمنعها عن الانطلاق والمقاومة .

انك لو قيدّت شخصا بالحديد او ربطته ربطا وثيقا بالحبال ثم صرخت به : قم ،تحرك ، اركض فهل سيكون قادرا على الاستجابة والانطلاق؟

- اللهم الا اذا استطاع تحطيم قيوده وفك اغلاله .

قد يخطىء تفكيرك فتتصور ان سبب عدم

انطلاقته واستجابته هو : وساخة ثوبه ! وتعمل لتوفير ثوب جديد نظيف له ،ثم تلبسه اياه وتصرخ به : انطلق ،اركض ،تحرك .

فهل سيستطيع التحرك بعد ان البسته ثوبا نظيفا والاغلال والقيود لاتزال تشد يديه ورجليه ؟

وقد يشط بك التفكير مرة اخرى فتعتقد ان سبب عدم تحركه وانطلاقه هو فراغ جيبه من النقود !! فتجمع له مبلغا جيدا من المال وتودعه في جيبه .. ولكنه ايضا لن ينطلق ولن يستطيع التحرك .

ان السبب الوحيد لعدم انطلاقه هو الاغلال والقيود التي تكبل يديه ورجليه واذا اردت منه ان ينطلق فارفع عنه اغلاله وقيوده او علمه طريقة فكها والتخلص منها .

ان هناك من يعتقد بان سبب تخلف مجتمعاتنا هو قلة الكوادر والكفاءات العملية ،وطريق التقدم والتحرر عند هؤلاء هو توفير الخبرات في مختلف مجالات العلم والمعرفة كالطب والهندسة و الجيولوجيا ..

ولكن ماقيمة الخبرات العلمية في اجواء التخلف والانحطاط ؟ انها اما ان تنتقل لتعيش في الدول

المتقدمة كما هو الحال الان حيث تعمل مجموعة ضخمة من الكفاءات والخبرات الاسلامية في خدمة الدول الغربية والشرقية المتقدمة .

واما ان تصبح جزءا من حياة التخلف فكم من عالم وخبير تحول الى اداة يستخدمها الاستعمار ويحركها ضد مصالح شعبه ووطنه ؟

واما ان تكبت تلك الكفاءات ولايفسح لها مجال التحرك والعمل !!

كل هذا يحدث مالم تعالج وتجتث الجذور الحقيقية للتخلف .. تلك الجذور التي تتمثل في الاغلال والقيود التي تكبل مجتمعاتنا وشعوبنا .

ماهي تلك الاغلال

والان : ماهي تلك القيود والاغلال التي تكبل مجتمعاتنا ،فتمنعها عن التحرر والانطلاق ؟

انها انواع ثلاثة من الاغلال والقيود :

١/ الاغلال الفكرية والثقافية .

٢/ الاغلال النفسية .

٣/ الاغلال الاجتماعية .

ولتوضيح الفكرة وتقريبها تأملوا المثال التالي :

انك الان جالس في قاعة المحاضرات وهناك مهمة خارج القاعة تدعوك للخروج ولكنك قد لا تستجيب لهذه المهمة وتمتنع عن الخروج لاحد الاسباب التالية :

- انك تحمل ثقافة صحية طبية ،تعرف من خلالها ان الخروج المفاجئ من مكان دافئ الى جو مكشوف بارد قد يسبب لك صدمة هوائية ،او تصيبك الانفلونزا ، او اي مرض آخر .. ولانك مقتنع بهذه الفكرة فانك تمتنع عن الخروج .

- او لانك تخشى وجود حيوانات مفترسة ، او تخاف ترصد بعض الاعداء لك ،خارج القاعة فتمتنع ايضا عن الخروج .

- وقد يكون سبب امتناعك عن الخروج هو عدم انتهاء المحاضرة مما يسبب انزعاج المحاضر و الفات انظار السامعين وبالتالي عدم ارتياحهم من خروجك اثناء المحاضرة ولهذا تمتنع عن الخروج .

لو لاحظتم هذا المثال لوجدتم ان سبب عدم الخروج من المرة الاولى هو وجود فكرة يعوقك الايمان بها عن الخروج وهذا مثال للعائق الفكري.

بينما في المرة الثانية كان السبب هو التخوف من وحود الحيوانات المفترسة او الاعداء وهو حاجز نفسي .

اما في المرة الثالثة فان مايمنعك من الخروج هو وجود اعراف وتقاليد اجتماعية تمنعك

مراعاتها عن المبادرة الى الخروج .

ولنتحدث الان بشيء من التفصيل عن هذه الاغلال والقيود بانواعها الثلاثة :

الاغلال الفكرية

يختلف الانسان عن الحيوان في ان الثاني يمارس نشاطه وحياته بشكل غريزي فطري .. لامجال فيه للاختيار ولا للتغيير والتطور ،ولذا فاننا لانجد اى اختلاف او تغير في حياة وممارسات الحيوانات التي تعيش من حولنا بل ان كل صنف منها يعيش على نسق معين منذ ملايين السنين دون اي اختلاف بين افراده .

بينما اعمال الانسان وممارساته ونشاطاته تخضع لارادته واختياره .. ولذا يختلف افراد الانسان في اعمالهم وممارساتهم ويطرأ التغيير والتطور في سلوك البشر ونشاطاته ..

ولان الانسان مريد مختار ولان الله تعالى قد زوده بالعقل فان قراراته واعماله وسلوكه تتاثر بافكاره وثقافته ..

ولذا نرى ان فكرة معينة تجعل انسانا ينحني ويسجد لصنم منحوت من الصخر او الحديد ..

بينما فكرة مضادة تدفع انسانا آخر لحمل الفأس وتكسير ذلك الصنم وتحطيمه ..

ويصور لنا القرآن الحكيم مشهدا تاريخيا حول هذا الموضوع في حوار نبي الله ابراهيم (عليه السلام) مع قومه ..

فيقول تعالى :

(ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ، اذ قال لابيه وقومه ماهذه التماثيل التي انتم لها عاكفون ، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين ، قال لقد كنتم انتم واباؤكم في ضلال مبين . قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين . قال بل ربكم رب السماوات والارض الذي فطرهن و انا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين . فجعلهم حذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون)

(الانبياء ٥١ – ٥٨)

ان اختلاف تفكير ابراهيم الذي آتاه الله رشده عن تفكير قومه المقلدين لابائهم واجدادهم هو سبب اختلاف موقف الطرفين تجاه الاصنام و التماثيل .. فبينما يخر قومه لها سجدا وتقديسا

اخذ هو الفأس وقام بتحطيمها ..

ورأينا في مجتمعاتنا كيف ان افكارا معينة دفعت بقسم من الجماهير للانتفاضة والتحرك ضد السلطات بينما افكار اخرى مضادة جعلت قسما آخر من المجتمع يتشبث ويرتكس في اوحال الذل و مستنقعات الجمود ..

اذكر ان احد الشباب كان قد شارك في الانتفاضة بدور جيد ولكني سمعت عنه بعد ان التحق باحدى المدارس الدينية الرجعية انه اتخذ موقفا مضادا لحركة الشعب وانتفاضة الجماهير و اصبح نادما على نشاطه الثوري السابق ،لان الوسط الرجعي الذي انتقل اليه استطاع تغيير افكاره فتغير تبعا لذلك موقفه ونفسيته ..

من هنا ينصب اهتمام الانبياء بادىء ذي بدئ على تصحيح رؤية الانسان للكون والحياة ،وعلى تطهير فكره من الخرافات والاساطير .. فمسألة الايمان في برنامج الرسالات السماوية دائما متقدمة على العمل الصالح فاولا (الذين آمنوا) وبعد ذلك (وعملوا الصالحات) .

والايمان يعني شيئين على الصعيد الفكري :رفض الافكار الخاطئة والاراء المنحرفة هذا اولا و

الاقتناع والاعتقاد بالمبادىء والافكار الصحيحة والسليمة يقول تعالى :(فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) .

وتلخص هذه الحقيقة كلمة التوحيد التي تبدأ بالرفض (لا اله) وتنهي بالايمان بالحق وحده (الا الله) .

ويؤكد الاسلام على ضرورة اليقظة والانتباه من تسرب الخرافات والافكار الخاطئة الى فكر الانسان المسلم وهناك آيات واحاديث ونصوص شرعية كثيرة في هذا المجال نورد منها المقتطفات التالية :

ففي القرآن الحكيم يقول تعالى :

(فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه) (الزمر / ١٨)

(ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الاخرة من خلاق)

(البقرة /١٠٢)

(ولاتقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر و الفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا)

(الاسراء / ٣٦)

(ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) (النجم / ٢٣)

وعن الامام علي – عليه السلام –

(ووقفوا اسماعهم على العلم النافع لهم) .

(من استقبل وجوه الاراء عرف مواقع الخطأ) .

(اضربوا بعض الرأي ببعض تتولد منه الصواب وامخضوا الرأى مخض السقاء) .

(واضمم اراء الرجال ،واختر اقربها الى الصواب وابعدها عن الارتياب) .

(العاقل من اتهم رايه ولم يثق بكل ما تسوّل له نفسه) .

(كفى بالمرء غرورا ان يثق بكل ما تسوّل له نفسه) .

وعن الامام الصادق – عليه السلام –

(واياك والرأي الفطير) .(١)

ومع كل هذه التأكيدات من قبل الاسلام للحفاظ على سلامة الفكر ،وصيانة عقل الانسان من تسلل الافكار الخاطئة والخرافات واساطير الجهل .. و لكن مع الاسف الشديد لو اخضعنا كل الافكار السائدة في مجتمعاتنا والتي توّثر في سلوك الناس وتشكل خلفية مواقفهم وممارساتهم .. لو

---

(١) جميع النصوص من كتاب (الحياة) ج١

اخضعناها لفحص مختبري دقيق لوجدنا ان نسبة كبيرة من هذه الافكار قد تصل الى حدود ٥٠٪ تقريبا هي افكار سلبية خاطئة ،وتصورات جاهلية منحرفة !!

والادهى في الامر ان هذه الافكار الخاطئة السلبية تمتلك قداسة وحماية شرعية في نفوس الناس واذهانهم حيث يعتبرونها جزءا من الدين . بينما هي تقف في جهة مضادة لافكار الدين و مفاهيمه ،والدين منها برىء كبرائة الذئب من دم يوسف !!

وتشكل هذه الافكار السلبية الخاطئة شبكة واسعة تغطي مختلف جوانب الدين والحياة .. بدءا من مجال العقائد الدينية وانتهاءا بالسلوك الشخصي .. مرورا بالعلاقات الاجتماعية والمواقف السياسية واساليب التربية ..

اما كيف نشأت هذه الافكار الخاطئة في اجواء امتنا الاسلامية التي انعم الله عليها بهدى الاسلام وقرآنه المبين الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ؟!

وكيف نميز هذه الافكار السلبية ونكتشفها ؟ وما هو الطابع العام لها ؟

فهذا ماتجيب عليه السطور التالية :

* الافكار اللامسؤلة ..

كيف ولماذا ؟

لماذا وكيف انتشرت الافكار اللامسؤلة في الامة ؟

وكيف يمكن فضحها وتعرية زيفها من اجل انقاذ الجماهير منها ؟

في ضمير (الانسان - الفرد) تتصارع قوتا العقل والشهوات ،يدعوه العقل الى الله والخير و الجمال والحق والتحرر ،بينما تدعوه الشهوات الى اللذة العاجلة والتسرع والافراط .

وفوق العقل والشهوات تعلو ارادة الانسان التي تعتبر بمثابة حاكم قوي يحسم الموقف لصالح احدى القوتين .

وحين يختار الانسان جانب العقل فاين تذهب الشهوات ؟

هل تندحر كما يندحر ظلام الليل حين تشرق شمس النهار ؟

كلا .. ان الشهوات تبقى توسوس في قلب الانسان

---

* فقرة من كتاب (الثقافة الرسالية)

ويحتاج الانسان الى سلاح يحارب هذه الوسوسة ،ذلك السلاح هو (التسلية) .

ماذا تعني التسلية ؟ وكيف تتم عند الانسان؟ دعنا نجسدها في حوار يجري عادة داخل الضمير .

العقل : هذا وقت الصلاة ، اذهب الى المسجد .

الشهوات : ولكنك جائع ، اذهب الى البيت للغذاء.

الارادة : كلا ساذهب الى المسجد .

هنا تعود الشهوات توسوس ،وتقوم الارادة بالتسلية .

الشهوات : كلا انك جائع كيف تصلي وانت جائع.

الارادة : بلى . ولكن سوف اتغذى بعد الصلاة ، ثم ان الله اعدّ جنة عدن فيها ماتشتهيه النفس من الاكلات الطيبة وغيرها ،وجعلها للمطيعين من عباده ،ثم ماذا تنفع اكلة عاجلة تعقبها ندامة ونار في جهنم .

هذه التسلية تأتي حين يختار الانسان جانب العقل ،ولكن كيف اذا اختار جانب الشهوات ؟هنالك يبقى العقل يوخز الضمير ،فماذا تصنع الارادة ؟ انها تقوم بعملية (التبرير) والتي تشبه عملية (التسلية) .

فالتبرير يحدث لاسكات دعوة الى الحق ونبذ

الباطل .. دعنا نعيد الحوار المتقدم بطريقة ثانية .

العقل : هذا وقت الصلاة .

الشهوات : بل هذا وقت الغذاء .

الارادة : نعم اذهب الى الغذاء .

العقل : ولكن كيف تجيب ربك ؟

الارادة : اولا : يمكن تاخير الصلاة . وثانيا قبل ان نموت سوف نتقرب الى الله . وثالثا : من يقول ان الصلاة واجبة على الجائعين ؟

وفي الواقع الاجتماعي كما في الواقع الفردي حين يتوانى المجتمع عن واجباته يقوم بتبرير هذا التقاعس ،والافكار التي ينتجها هذا المجتمع تكون - عادة - تبريرية .

وكل فكرة تبريرية هي فكرة باطلة . وذات اثر سيء في تقدم الانسان ،لان الدوافع التي تكون وراءها هي دوافع ذاتية خبيثة .

والافكار التبريرية لاتستطيع ان تكون خلاّقة ، لانها جاءت وليدة اختيار الانسان ،فهي اضعف من ان تكون قادرة على صنع واقع جديد .

والافكار التبريرية ذات صبغة اممية ، اذ تمر كل امة بحين من الدهر تنتشر فيها روح اللامسؤلية

والكسل ،وتتشبث لتبرير هذه الحالة بافكار معينة .

هذه الافكار تستطيع ان نسميها بالافكار الصوفية ،والتصوف في التاريخ هو الاسم الذي كان يطلق على السلبية الكاملة في الحياة تماما مثل " الهيبز " في العالم الغربي اليوم .

والافكار الصوفية نجدها في كل امم الارض ، لان كل امة لابد ان تكون قد مرت بفترة جمود وتقاعس فتشبثت بافكار تصوفية لتبرير جمودها وتقاعسها . (١)

عينات من الفكر السلبي

كما قلنا سابقا فان الفكر السلبي اخطبوط يمد سيقانه البغيضة الى كل مجالات الدين والحياة ، ولو اراد انسان خبير ان يستعرض كل تلك الافكار الرجعية المتخلفة لكان عليه ان يؤلف موسوعة مصنّفة حسب حروف الابجدية او حسب المواضيع !!

من تلك الافكار السلبية على سبيل المثال نذكر العناوين التالية :

---

(١) الثقافة الرسالية .

ـ فكرة الجبر التي تسلب الانسان ارادته و حريته واختياره وانه كائن مسيّر في حياته و عمله لارأي له ولادخل فيما يصدر منه !!

ـ فكرة الفصل بين الدين والسياسة وان الدين لادخل له في السياسة ولاشأن له معها !!

ـ فكرة الخضوع للسلطة مهما كان اتجاهها وسياستها لانها (اولي الامر) !!

ـ فكرة تحريم تفهم القرآن والتدبر في آياته وان ذلك محصور في العلماء الكبار !!

ـ فكرة تقديس كل الصحابة ورجال السلف دون النظر الى سلوكهم ودورهم !!

ـ فكرة التقية بمعناها المحرّف الذى يعني الاستسلام والذل والخنوع !!

ـ فكرة انتظار الفرج وخروج الامام المهدي بمعنى الجمود والسكوت وعدم تحريك ساكن !!

ـ فكرة تقديس علماء الدين مهما كان دورهم الاجتماعي والتزامهم الديني وخطهم السياسي !!

الى ماهنالك من افكار كثيرة من هذا النوع..

ان هذه الافكار تشكل اغلالا وقيودا تمنع جماهير امتنا من التحرك والانطلاق ..

فقد تغذي هذه العوامل لدى الانسان توجهات معينة او تنمي لديه ميولا خاصة ..

ولان الغالب من ابناء اجيال امتنا المعاصرة قد انحدرت من اجيال التخلف والانحطاط ،ولم تحظ بتربية رصينة ، اما البيئة التي نشأت فيها هذه الاجيال فهي تعج بالفساد والانحراف .. ولذلك فان الغالب في نفسيات ابناء امتنا الان انها نفسيات تتراكم فيها العقد ، وتتوالد فيها السلبيات .

فالانانية والروح المصلحية هي السمة البارزة لنفوس اكثرية ابناء الامة ،حيث يعيشون كالانعام بل اضل سبيلا ،لاتهمهم المصلحة العامة ،ولايدافعون عن حريتهم ،ولايتمسكون بكرامتهم .. بل يحرص كل فرد على توفير الراحة والمتعة واللذة لذاته غير عابئ بواقع امته واوضاع مجتمعه ..

والخوف ذلك الشبح المزيف الذي يلاحق الواحد منا حتى في اطياف نومه فيحول الفرد الى جبان ذليل يعيش الازدواجية ويمارس التملق والنفاق .. الخوف من الفقر .. الخوف من السلطة .. الخوف من الفشل.. الخوف من المشاكل .. الخوف من المجهول ..

والسمة الاخرى هي (فقد الثقة بالنفس) حيث

يشعر الانسان بانه لاشيء وانه لايستطيع القيام بأي عمل او تحقيق اي تغيير في الواقع .. وانه الاضعف فيحب ان يخضع لاية قوة اخرى وواقع مسيطر ..

هذه العقد النفسية هي اغلال وقيود تمنع الافراد وتقعد بالمجتمعات عن التقدم والنهوض ..

ان الفرد الاناني لايمكن ان يصبح ثائرا مضحيا ..

والجبان الخائف لايدافع عن حريته وكرامته ..

ومن يفقد الثقة بذاته ليس حريا بتحقيق النجاح في اي مجال ..

الاغلال النفسية

حقا (ان الله لايغير مابقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) .

ذلك لان نفس الانسان بما تحمل من ميول و توجيهات تتحكم ليس فقط في سلوك الانسان و نشاطاته بل تتعدى ذلك للتأثير على عقله و تفكيره .

يقول العلامة " المدرسي " :

(يتصور الرأي السائد في المنطق ان مشكلة الانسان في العلم ،هي مشكلة عقلية محضة ،يمكن حلها بوضع قواعد لتنظيم عملية التفكير .الا ان الحقيقة : ان المشكلة هي مشكلة نفسية ،قبل ان تكون عقلية ،ولذلك فنحن بحاجة الى معالجة النفس البشرية قبل ان نضع قواعد لعقله وتنظيم فكره .

ذلك لان النفس البشرية قد تستأثر بـــارادة الانسان وتوجهها الى حيث تتحرك اهواؤها ،وهنالك تبقى قدرة الانسان على التفكير معطلة رأسا !! ولاتغنيه القواعد الموضوعة لتنظيم التفكير .

ومن هنا فان علم النفس لابد ان يدخل كطرف مباشر في المنطق . (١) وفي هذا المجال يقول الامام علي (عليه السلام) : من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل . (٢)

ان نفس الانسان ـ كما خلقها الله سبحانه وتعالى ـ تحمل استعدادات ضخمة ولكن المشكلة هي في تنمية تلك الاستعدادات وتوجيهها باتجاه الخير او الشر ..

يقول تعالى :

(ونفس وماسواها فالهمها فجورها وتقواها
(قد افلح من زكاها وقد خاب من دسّاها)
(٧ ـ ٩ الشمس)

وللوراثة والتربية والبيئة دور فعال في تحديد توجهات نفس الانسان وتنمية ميولها .

---

(١) المنطق الاسلامي ١٨٧

(٢) كتاب الحياة ج١ ص ١٥٩

الاغلال الاجتماعية

حينما يبتعد المجتمع عن قيم السماء الصحيحة ، تترعرع في اجوائه وتسوده التقاليد والعادات و الاعراف الخاطئة البالية .. ومع مرور الزمن تصبح لتلك العادات والتقاليد شرعية وقدسية يكون الخارج عليها محكوما بالشذوذ والانحراف ..

وهذا مايعاني منه مجتمعنا اليوم فقد ابتعد عن تلك الاداب والاخلاق الاجتماعية الفاضلة التي شرعها الاسلام .. واصبح فريسة لعادات واعراف سيئة تعيق تقدمه وتسبب له المشاكل والازمات ..

وابسط مثل نسوقه هنا ويتحسسه كل الاخوة هو مسالة (غلاء المهور) .

هذه المسألة التي قد يظن المرء انها قضايا شخصية ليست مهمة ولكنها في الواقع وراء الكثير من المشاكل والانحرافات التي تنشأفي مجتمعاتنا.

فقد شرع الاسلام (المهر) كهدية رمزية تقدم للمرأة عند الزواج .. واكد الاسلام كثيرا على بساطة تلك الهدية (المهر) وعدم المبالغة فيه. فعنه (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم): افضل نساء امتي اصبحهن وجها واقلهن مهرا .

وعن الامام علي (عليه السلام) : لاتغالوا في مهور النساء فيكون عداوة .

وعن الامام الصادق (عليه السلام) : شؤم المرأة كثرة مهرها .(١)

الا انه من المؤسف اصبح (المهر) في مجتمعاتنا كثمن للبنت يساوم الاهل ويجادلون لرفعه الى اعلى مبلغ ممكن ..

مما سبب في تأخير الزواج بالنسبة لقطاع كبير من الشباب والبنات .. لعدم استطاعة الشاب توفير مبلغ (المهر) !!

وبالطبع فان تعطيل مشاريع الزواج ينتج

---

(١) هذه النصوص من كتاب (مكارم الاخلاق)

للمجتمع مضاعفات كثيرة !!

وحتى لو فكر احد الاباء ان يزوج ابنته بمهر بسيط قليل فانه سيحسب حسابا لعتاب الناس وتعييرهم له لخروجه على العادة المألوفة ..

فلنحطّم هذه الاغلال

فلنحطم هذه الاغلال :

ان اول خطوة يجب ان يقوم بها العاملون في سبيل تغيير واقع الامة ،وتحرير شعوبها هي تحطيم هذه الاغلال الفكرية والنفسية والاجتماعية ، لتنطلق جماهير الامة في طريق الثورة والتغيير.

وان التغاضي عن هذه الخطوة المهمة وتجاوزها الى سائر الاعمال العسكرية والسياسية والاعلامية ليس اتجاها صحيحا .. اللهم الا بمقدار ماتخدم تلك الاعمال هذا الجانب الاهم .

واي تغيير في نظام الحكم وشكله لاقيمة له اذا كانت الجماهير لاتزال ترزح تحت نير تلك الاغلال والقيود التي تكبلها .

وعجيب امر بعض الحركات و الاحزاب التي تتبنى التغيير الاسلامي والثورة بينما تسكت على وجود هذه الاغلال ،فتتجاهل انتشار الافكار السلبية ولا تعمل على مقاومتها ،وتغضي عن ضعف ومرض نفسيات ابناء الامة فلا تحاول معالجتها ،وتعرض عن العلاقات الاجتماعية المتخلفة ولا تسعى لتصحيحها.

ان هذه الحركات تكرس جذور التخلف اما لعدم تشخيصها واكتشافها ،او لعدم جدية تلك الحركات في الثورة والتغيير ..

نسأل الله تعالى ان يأخذ بايدينا جميعا الى مافيه الخير والصلاح ..

والسلام عليكم